بحث بعنوان " مدح الملوك والأمراء من منظور رؤية العالم عند شعراء عصر ملوك الطوائف"

أ/ بسمة إبراهيم عبد الغفار (*)

مستخلص:

يتناول البحث دراسة مدح الملوك والأمراء من منظور رؤية العالم عند شعراء عصر ملوك الطوائف، ويهدف هذا البحث إلى كشف المضمون الفكري والمترسخ العقلي لدى شعراء هذا العصر، حيث تنوعت الرؤى الجمعية لديهم فتارة كان شعر المدح ليس مجرد تعبير عن المدح والثناء، بل كان أداة سياسية واقتصادية استخدمها الحكام والمماليك لتعزيز سلطتهم وسمعتهم في المجتمع ، وتارة أخرى كان الشعراء يلجؤون إلى مدح الخلفاء والحكام والأمراء والشخصيات المهمة الأخرى كوسيلة لكسب الرضا والدعم من جانبهم، وكانت هذه العلاقة بين الشعراء والمماليك هي التي شكلت جزءًا أساسيًا من رؤيتهم ووعيهم الذاتي والجمعي ، وتسعى الدراسة إلى البحث في مصطلح (رؤية العالم) وهو مصطلح يشير إلى النظرة الشاملة التي يحملها الفرد أو المجتمع تجاه الواقع المحيط به، والتفاعل معه بشكل إبداعي واجتماعي، ويعزو "لوسيان جولدمان" لهذا المصطلح عبر رؤيته التي تعبر عن الخروج من الذات الفردية إلى البيئة الاجتماعية، حيث تتفاعل الذات مع المحيط الاجتماعي وتتشكل منه وتسهم في تحديد أطر وحدود هذا المجتمع.

في هذا السياق، ترتكز رؤية العالم على الثقافة والقيم والتجارب الشخصية، وتعكس ذلك التفاعل المعقد بين الفرد والمحيط الاجتماعي والثقافي والعالم بشكل عام. ويسعى البحث من دراسة رؤية العالم إلى فهم كيفية تشكل الذات وتطورها وتأثيرها على مجتمع الطوائف.

الكلمات المفتاحية : عصر ملوك الطوائف، رؤية العالم.

Abstract:

The research deals with the study of the praise of kings and princes from the perspective of the worldview of the poets of the era of the Taifa Kings. This research aims to reveal the intellectual content and mental roots of the poets of this era, as their collective visions varied. At a time, praise poetry was not just an expression of praise and praise, but rather it was a political tool. And economic, which rulers and Mamluks used to enhance their power and reputation in society. At other times, poets would resort to praising caliphs, rulers, princes, and other important figures as a means of gaining satisfaction and support from them. It was this relationship between poets and Mamluks that formed an essential part of their vision and self- and collective awareness. The study seeks to Research into

(*) باحث ماجستير بقسم اللغة العربية – كلية الآداب جامعة الوادي الجديد.

the term (world view), which is a term that refers to the comprehensive view that an individual or society holds towards the reality surrounding him, and interacting with it creatively and socially. Lucian Goldman attributes this term through his vision that expresses the exit from the individual self to the social environment, where The self reacts with the social environment, is shaped by it, and contributes to defining the frameworks and boundaries of this society.

In this context, the world view is based on culture, values, and personal experiences, and reflects the complex interaction between the individual, the social and cultural environment, and the world in general. The research seeks to study the world view to understand how the self is formed, develops, and affects sectarian society.

Keywords: the era of the Taifa Kings, world vision.

- **المقدمة:**

تطور المدح كغرض شعري هام في عصر الطوائف في الأندلس، ومر بثلاث مراحل رئيسية:

المرحلة الأولى: تميزت بالتحولات الكبيرة في مجريات التاريخ، حيث حاول ملوك الطوائف السيطرة على الحكم بمفردهم وبعيداً عن أي شراكة، مما دفع الشعراء إلى السعي لكسب ود الحكام والحصول على العطايا منهم. وقد رصد الشعراء الأحداث التاريخية المهمة في ذلك الوقت وعبروا عن الحزن والأسى الناتج عن سقوط بعض المدن والمعارك الدامية في قصائدهم.

المرحلة الثانية: شهدت تعرض الشعراء للنفي والسجن وانخفاض مكانتهم في المجتمع، ومنهم من تعرضوا لضيق العيش والفقر، لكنهم مازالوا يكتبون قصائد تعبر عن وضعهم بشكل مؤثر وعميق.

المرحلة الثالثة: في هذه المرحلة الأخيرة، حاول الشعراء تخفيف معاناتهم من خلال تذكر الأيام الجميلة التي عاشوها والتعبير عن روعة الطبيعة، وقد أثرت الموسيقى على صوتهم وأسلوبهم، حيث استخدموا البحور الشعرية والتقنيات البديعية المتنوعة في قصائدهم.

لذا وقع اختيار الباحثة على هذا العصر ليتم تناوله من منظور رؤيوي يعبر عن المضمون الفكري والعميق، مما يوفر للقارئ زادًا معرفيًا وفهمًا أعمق للمواضيع التي تناولها شعراء هذا العصر.

- **دوافع البحث :**

١) أن الشعر في عصر ملوك الطوائف وبخاصة شعر المدح يُعدُ سمة بارزة في هذا العصر لذا كان جديرًا بالبحث والدراسة.

٢) تتبع الرؤى المختلفة للشعراء في هذا العصر واستنباط الوعي الجمعي لدى فئات مجتمع الطوائف .

- **أهداف البحث :**

١) دراسة رؤية العالم في شعر المدح لدى شعراء عصر ملوك الطوائف دراسة مستعينة برؤية العالم لـــ(لوسيان جولدمان) حيث يقوم البحث بالإفادة من رؤية العالم التي طرحها جولدمان في فهم وتفسير شعر مدح الملوك والأمراء في عصر ملوك الطوائف، حيث يتم التركيز على العلاقة بين النص الشعري والواقع الاجتماعي والثقافي.

٢) فهم شعراء الطوائف بشكل شامل، وذلك من خلال تحليل النصوص الشعرية وربطها بالسياق الاجتماعي والثقافي والتاريخي، وبذلك يعزز الفهم العلمي لهذه الفئة الأدبية من خلال توظيف منهجية تحليلية شاملة ومتعددة الجوانب.

- **أسئلة البحث:**

١) ما المقصود برؤية العالم ؟

٢) كيف أثرت السياسات الداخلية والخارجية للحكام في تشكيل الوعي الجمعي لدى الشعراء؟

٣) ما سبب ظهور شعر الاستعطاف جنبًا إلى جنب مع شعر المدح في عصر ملوك الطوائف؟

- **مشكلة البحث :**

لا يخفى على الباحثين أنه تم تناول الشعر الأندلسي وخاصة عصر ملوك الطوائف تم تناوله بالعديد من الأبحاث والدراسات ، ولكن على الجانب الآخر لم يتم تناول شعر مدح الملوك والأمراء بالبحث البنيوي التكويني ليكشف عن البنية الداخلية للنص وكذلك ربط النص بمعطيات سوسيولوجية للتمكن من استنطاق رؤية العالم لدى هؤلاء الشعراء، وبذلك تكون مشكلة البحث هي تلبية حاجة عصر ملوك الطوائف وتناول غرض هام من أغراضه الشعرية وهو مدح الملوك والأمراء من منظور رؤية العالم .

- **الدراسات السابقة :**

١) رؤية العالم في شعر حميد بن ثور الهلالي من منظور البنيوية التكوينية، عبدالرحمن حميدي المالكي، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ٢٠٢٠م.

استهل البحث بمهاد تاريخي ونظري وحاول البحث تناول رؤية العالم عند حميد بن ثور الهلالي، وذلك من خلال الكشف عن أهم الرؤى الجديدة للنص الشعري عند الشاعر، وتناولها من خلال ثلاثة محاور، أولها الطلل إطار الوحدة الاجتماعية وثانيها المرأة العالم الخيالي، وثالثها الحمامة الواقع والنسق الفكري، واختتم البحث بأن البنيوية التكوينية تعد

من المناهج الحديثة التي لقيت اهتماماً كبيراً من الدراسين، لاهتمامها بتحليل البنى الدلالية للموضوعات وعلاقتها بالعالم الخارجي للنصوص وعدها مرآة المجتمع، واتخذ الشاعر حميد بن ثور الهلالي رمزية الحمامة للتعبير عن محبوبته، وبث من خلالها مشاعر الاغتراب والشوق والحنين من خلال رؤية صادقة للعالم الاجتماعي المحيط به.

٢) رؤية العالم وتحولات النص الرؤيوي : نصوص شعراء الصعيد أنموذجًا، د/ عماد حسيب إبراهيم، جامعة كفرالشيخ، كلية الآداب، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، ٢٠٢٢م .

تناول الدراسة الشعر الرؤيوي الذي يهتم بالمضمون الفكري والمترسخ العقلي لينقل إلى القارئ زادا معرفيا محاطا بأطر ثقافية واجتماعية ودينية تتغلغل في المناطق الشائكة والمحرمة أحيانا والمسكوت عنها، وتدلف الدراسة إلى البحث في مصطلح " رؤية العالم " ذلك المصطلح الذي ينتمي إلى مجموعة من المفاهيم الخاصة بالعلاقة الإبداعية في تداخلها الاجتماعي مع الواقع المعيش، وقد أسس " لوسيان جولدمان " لهذا المصطلح عبر رؤيته التي تمثل خروجا بالإبداع من منطقة الفردية الذاتية إلى المجال الأوسع المرتبط بالمحيط الاجتماعي الذي تذوب فيه الذات داخل عالمها الذي تتشكل منه وتسهم في تشكيل أطره وحدوده الأصلية، وتصير الذات المبدعة ليست معبرة عن المحيط الإقليمي فقط، بل تتجاوزه لتصل إلى المشترك الكوني الذي تتشابه فيه القضايا والسمات والمعايير، واختارت الدراسة نماذج من شعراء الصعيد لتصل إلى نتيجة مفادها أن ما وصل إليه الوعي الفكري والثقافي في هذه المنطقة، ومدى قدرة شعرائه على قراءة الواقع ورصد تحولاته عبر كتابة توافرت لها مقومات الإبداع الحقيقي يستحق الدراسة النقدية. وتدور الدراسة في مجموعة من المحاور الآتية: الرؤية السلبية وواقع القبيلة، وجدلية الأنا الفردية والمكون الجمعي، والصراع بين السلطوي والمستغل، وتسويغ القيم المضادة.

٣) المديح في الشعر الأندلسي: دراسة على الشعراء الذين مدحوا بلاط بني عباد، ميرغني الطاهر أحمد الفكي، جامعة أم درمان، كلية اللغة العربية، ٢٠١٦.

تناولت هذه الدراسة حالة الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية ثم تحدثت عن الفترة التي تلتها وهي قيام ملوك دول الطوائف وبخاصة بنو عباد في إشبيلية وقرطبة، مستعرضة الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في عصر ملوك الطوائف، ثم تحدثت عن المدح والشعراء الذين مدحوا في بلاط بني عباد، متناولة المدح عند ابن اللبانة وابن حمديس وابن عمار وابن زيدون والمدح عند عبدالجليل بن وهبون . ثم خصصت فصلاً للدراسة الفنية للشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف متناولاً فيه القصيدة من حيث البناء واللغة والأسلوب والموسيقى .

- **منهج البحث :**

تستعين الباحثة بمنهج (رؤية العالم) لـــ (لوسيان جولدمان) وهو منهج يجمع بين المناهج السياقية الخارجية والمناهج النسقية الداخلية ويندرج تحت البنيوية التوليدية أو التكوينية وهو المنهج الذي يتناول النص الأدبي بوصفه بنية إبداعية متولدة عن بنية اجتماعية وذلك من منطلق التسليم بأن كل أنواع الإبداع الثقافي تجسيد لرؤى عالم متولدة عن وضع اجتماعي محدد لطبقة أو مجموعة اجتماعية بعينها، تُعتبر رؤى العالم لدى (لوسيان جولدمان) بنيات متولدة ومولدة في الوقت نفسه، وهذا يعني أنها تنشأ وتتطور في تفاعل دائم مع الوضع الاجتماعي والثقافي الذي يحيط بها. هذا المفهوم يعتبر تطورًا لمفهوم الأبنية العقلية الهيجلية التي تم استغلالها في أعمال جورج لوكاتش في فترة مبكرة. ويترتب عن هذا المفهوم اهتمام جولدمان بدراسة بنية العمل الأدبي للكشف عن الدرجة التي يعكس فيها هذا العمل بنية الفكر للطبقة أو المجموعة الاجتماعية التي ينتمي إليها المبدع. يسعى جولدمان إلى اكتشاف البنية الفكرية التي تتوسط بين الأساس الاجتماعي الطبقي والأنساق الأدبية والفكرية والفنية، والتي تتحكم في هذه الرؤى وتولدها.

- **تقسيم البحث :**

ينقسم البحث إلى مقدمة تتناول عنوان البحث ودوافعه واسئلته ومشكلته ومنهج الدراسة فيه، ومبحثين : المبحث الأول: رؤية العالم (المصطلح والمفهوم) ، والمبحث الثاني: مدح الملوك والأمراء من منظور رؤية العالم في عصر ملوك الطوائف .

ثم خاتمة حملت النتائج ، وثبت المصادر والمراجع.

عصر ملوك الطوائف:

- **مدخل:**

عكس شعر عصر ملوك الطوائف (٤٢٢ - ٤٨٤ هـــ / ١٠٣١ - ١٠٩١ م) صورة للعالم تميزت بالتناقض والتنوع، فقد كانت هذه الحقبة مليئة بالصراعات السياسية والحروب بين ملوك الطوائف والممالك المسيحية، ورغم ذلك، فإنها شهدت ازدهارًا في الحضارة والثقافة وغزارة في الإنتاج الأدبي.

"فقد عاش الشعراء في زمنٍ اتسم بالصراعات السياسية والحروب، بينما ازدهرت فيه الحضارة والثقافة من خصائص رؤية العالم في شعر هذا العصر وكان التناقض في تلك الفترة في الوقت الذى تميز هذا العصر ببناء القصور والمدن، وازدهار العلوم والآداب ولكن في المقابل، عانت الأندلس من الصراعات بين ملوك الطوائف"[١]، وهجمات الممالك المسيحية وعبّر بعض الشعراء عن شعورهم بالأمل والتفاؤل بمستقبل الأندلس، وبينما عبّر آخرون عن شعورهم بالتشاؤم واليأس بسبب الأوضاع السياسية المتردية وتنوع مواضيع الشعر حيث تغنى الشعراء

(١) الحياة الاقتصادية في الأندلس في عصر ملوك الطوائف، محمد بن عبد الله عنان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م، (ص٤٥).

بالحب والجمال والطبيعة ورثوا ملوك الطوائف وأبطال الحروب وعبروا عن مشاعرهم الوطنية والسياسية وتنوع أساليب الشعر؛ حيث تميز شعر هذا العصر بتنوع أساليبه، من المديح إلى الرثاء إلى الهجاء واستخدم الشعراء مختلف الأوزان والقوافي. هذا التنوع يعكس التعقيدات والتباينات التي شهدها المجتمع الأندلسي في ذلك الوقت، ويعبر عن الحياة الثقافية والفكرية النابضة التي كانت متميزة في تلك الفترة.

قدم شعر عصر ملوك الطوائف صورةً مُعقدةً للعالم، تميزت بالتناقض والتنوع[٢]، فقد تنوعت مواضيع الشعر في هذا العصر بين التفاؤل واليأس، بينما كانت القصائد تحمل بين طياتها مشاعر الحب والجمال والغزل إلى جانب التعبير عن المشاعر الوطنية والسياسية. وهذا التنوع في المواضيع والمشاعر يعكس التعقيدات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي كانت تحدث في الأندلس في تلك الحقبة، وهذا التنوع الشعري يعكس الحيوية الثقافية والإبداعية التي كانت تميز هذا العصر، والتي جعلت من الشعر وسيلة للتعبير عن مختلف الجوانب والتجارب في الحياة اليومية للأندلسيين.

المبحث الأول : رؤية العالم (المفهوم والمصطلح):

يعرف لوسيان جولدمان[٣] رؤية العالم بقوله: "إن الرؤية للعالم هي بالتحديد، هذه المجموعة من التطلعات والإحساسات والأفكار التي توحد أعضاء مجموعة اجتماعية، وفي الغالب أعضاء طبقة اجتماعية، وتجعلهم في تعارض مع المجموعات الأخرى، إنها بلا شك

(٢)الحياة الفكرية في الأندلس في عصر ملوك الطوائف، عبد الرحمن علي الحجي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٢م، (ص٩٨).

(٣) لوسيان غولدمان (١٩١٣ -١٩٧٠م) ولد في بوخارست وأنهى دراسته الثانوية في رومانيا، نضجت عنده الأفكار الماركسية عام ١٩٣٣ حين اكتشف لوكاش وأعماله الثلاثة. حصل غولدمان على دكتوراه في الاقتصاد السياسي ١٩٣٤م، ودكتوراه في الفلسفة ١٩٤٣م، ودكتوراه في الأدب ١٩٥٢ بعنوان: الإله الخفي دراسة للرؤية المأساوية في خواطر باسكال ومسرح راسين، وفي عام ١٩٥٩ أسس قسمًا يُعنى بسيسيولوجيا الأدب والفلسفة. هذا مؤشر واضح على التنوع المعرفي والعمق الفكري وتعدد الاتجاهات الثقافية التي شملت حقول الاقتصاد والفلسفة والأدب والسوسيولوجيا. وهو أحد ممثلي الفكر الماركسي ترجمت أعماله إلى أكثر من عشر لغات أجنبية فضلًا عن ذلك استطاع أن يؤسس منهجًا نقديًا متكاملا نظريًا وإجرائيا أطلق عليت اسم (البنيوية التكوينية)، أضحى منهجه من أهم المناهج والتيارات النقدية المعاصرة وأوسعها انتشارًا نتيجة ما تميزت بت من مرونة وقابلية للتطور والإثراء.

في عام ١٩٦٨ ساهم غولدمان بنهضة الفكر الجدلي وكان يؤمن بإمكانية تحقيق هذه النهضة إلى أن وافتت المنية في حادث سير عام ١٩٧٠م. من أعماله التي ترجمت ونشره فضلًا عن (الإله الخفي) له (الكون عند كانط ١٩٤٨) و(العلوم الإنسانية والفلسفة ١٩٥٢م) و(أبحاث جدلية ١٩٥٩م) و(من أجل سيوسيولوجيا الرواية ١٩٦٤) و(البنى الذهنية والإبداع الأدبي ١٩٧٠م) و(الماركسية والعلوم الإنسانية م). ينظر: الإله الخفي، لوسيان غولدمان، ترجمة: زبيدة القاضي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٠م، (المقدمة، ص ١١-١٦)؛ البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، لوسيان غولدمان ويون باسكاوي وآخرون، ترجمة: محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، ط٢، ١٩٨٦م، (ص١١-١٢)؛ في البنيوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان، جمال شحيّد، دار ابن رشد للطباعة، ط١، ١٩٨٢م، ص١٣-١٦)؛ من البنية إلى السياق- دراسات في سوسيولوجيا النص الروائي، عبد الوهاب شعلان، مكتبة الآداب، القاهرة ط١، ٢٠٠٧(ص٤٦-٦١)؛ المذاهب النقدية الحديثة- مدخل فلسفي، محمد شبل الكومي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤م، (ص٢٠٤-٢١٠)؛ العلوم الإنسانية والفلسفة، لوسيان غولدمان، ترجمة: يوسف الأنطاكي، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٦ م، ص(٥-٢٤)؛ التحليل الاجتماعي للأدب، السيد ياسين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ١٩٩١م، (ص٣٥-٣٧).

خطاطة تعميمية للمؤرخ، ولكنها تعميمية لتيار حقيقي لدى أعضاء مجموعة يحققون جميعًا هذا الوعي بطريقة واعية ومنسجمة إلى حد ما"(٤)، فهي تعبير عن رؤية العالم وهي رؤية تتكون داخل جماعة أو طبقة معينة في احتكاكها بالواقع، وصراعها مع الجماعات الأخرى(٥). ويقدم تعريفًا آخر للمفهوم نفسه قائلا:" إنه التقدير الاستقرائي التصويري إلى أعمق مدى التحام الأحاسيس المتحركة لأفراد فئة اجتماعية ما، ومجموعة مترابطة من القضايا والحلول التي يتم التعبير عنها على المستوى الأدبي عن طريق الإبداع، بواسطة الألفاظ وبواسطة كون محسوس من المخلوقات والأشياء"(٦). بشكل عام، يُعدُّ جولدمان الفهم العام للعالم والحياة يتم عبر الثقافة والتجارب الاجتماعية المشتركة، وهو يؤمن بأن الأفكار والقيم المشتركة تؤثر في شكل كيفية رؤية الأفراد للعالم والعلاقات الاجتماعية التي يشاركون فيها.

ويركز جولدمان هنا على أهمية الرؤى في تحديد مسار المجتمع وتوجيه طموحاته وتطلعاته، فتلك الرؤى تعكس محاولات الفرد أو المجتمع لتحسين وضعهم وتعزيز حياتهم، وتتكون من مجموعة من الإجابات الفردية أو الجماعية على التحديات والمشكلات التي يواجهونها. وهذا ما ذكره جولدمان " أن التصورات التي ينتجها المجتمع أجوبة لذات فردية أو جماعية، تشكل في جملتها محاولة لتعديل وضع معين نحو اتجاه ملائم لطموحاته ".[٧]

أما كارل منهايم فيرى _ كما ذكرنا_ أن مفهوم الرؤية للعالم : "إنه التقدير الاستقرائي التصويري إلى أعمق مدى التحام الأحاسيس لأفراد فئة اجتماعية ما، ومجموعة مترابطة من القضايا والحلول التي يتم التعبير عنها على المستوى الأدبي عن طريق الإبداع بواسطة الألفاظ وبواسطة كون محسوس من المخلوقات والأشياء"[٨]

(٤) البنيوية وما بعدها بين تأصيل الغربي والتحصيل العربي، وردة عبد العظيم عطا الله قنديل، رسالة ماجستير بكلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٠م، (ص٤١) ؛ الإله الخفي، جولدمان لوسيان، ترجمة: زبيدة القاضي، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠١٠م، (ص٢٦).

(٥) قراءة لرواية "أسطورة النداهة" لأحمد خالد توفيق في ضوء المنهج البنيوي التكويني لغولدمان، رضا ميرزايي وعلي رضا شيخي، مجلة إضاءات نقدية، العدد (٣٥) ، السنة التاسعة، خريف ١٣٩٨ش/ أيلول ٢٠١٩م، (ص١٠٥).

(٦) الإله الخفي، جولدمان لوسيان، مرجع سابق، ص٣٤٦؛ عن البنيوية التكوينية، جابر عصفور، مجلة فصول، القاهرة، المجلة (١) ، العدد (٢) ، يناير ١٩٨١م، (ص٨٥) ؛ الرواية والإيديولوجيا في الأدب العربي المعاصر، سعيد علوش، دار المنهل اللبناني، بيروت، ٢٠٠٩م، (ص١٠٧)؛ رؤية العالم في الثقافتين العربية والفرنسية- أدب الحيوان نموذجا -قراءة لغوية ونقدية، إيهاب السيد محمد عطا، رسالة بكلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠١٢م، (ص٥٤ وما بعدها).

(٧) رؤية العالم في شعر الصعاليك ، صغير بن غريب عبدالله العنزي ، دكتوراه ، جامعة أم القرى، (ص٢٤).

(٨) مفهوم النظرة إلى العالم وقيمته في نظرية الأدب، هند لسالة، ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي، مجلة آفاق العدد (١٠)، الرباط، المغرب، ١٩٨٢م، (ص٦٢، ٦٣).

يتضح أن كلاً من مانهايم وجولدمان يتفقان على أن رؤية العالم تشكل نتيجة لتفاعل الأفراد مع العالم الاجتماعي والثقافي، ولكنهما يبرزان جوانب مختلفة في تحديد كيفية تكوين هذه الرؤية والتعبير عنها.

كما يؤكد الناقد جابر عصفور على الطابع التاريخي لمفهوم رؤية العالم في قوله: "أن رؤية العالم تتميز بأنها مفهوم تاريخي يصف الاتجاه الذي تتجه الطبقة أو المجموعة الاجتماعية في فهم واقعها الاجتماعي ككل، بحيث يصل هذا المفهوم ما بين قيم هذه الطبقة أو المجموعة الاجتماعية وأفعالها في وحدة تصورية من ناحية، ويميز ما بينها وبين غيرها من ناحية أخرى"(٩). إذن فهو يسلط الضوء على الطابع التاريخي لمفهوم رؤية العالم، حيث يشير إلى أنها تعبر عن الاتجاه الذي تسير فيه الطبقة أو المجموعة الاجتماعية في فهم وتفسير واقعها الاجتماعي. ويصف عصفور رؤية العالم كمفهوم تاريخي يرتبط بالقيم والمعتقدات التي يمتلكها الفرد أو المجموعة الاجتماعية، وكيفية تأثير هذه القيم والمعتقدات على سلوكياتهم وتصرفاتهم.

المبحث الثاني: مدح الملوك والأمراء من منظور رؤية العالم في عصر ملوك الطوائف:

المدح هو:" تعداد لجميل المزايا، ووصف للشمائل الكريمة، وإظهار للتقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا" (١٠)، وهو غرض متوارث في الشعر العربي جيلًا تلو الآخر، لكنه انتشر في الأندلس على وجه خاص بسبب طبيعة الحياة السياسية، والاجتماعية، خاصة عهد ملوك الطوائف الذي تميز بكثرة الفتن، والحروب، والمعارك التي أصبحت مادة دسمة وموضوعًا للمفاخرة، حيث اعتبر الجهاد في فكر شعراء الأندلس شيء مقدس، فاضت قرائحهم في مدحه، فكانت قصائدهم تنبع من شغفهم بالمجد والبطولة، وكانوا يستخدمون المدح كوسيلة لتمجيد الأبطال والمحاربين الذين يتصدون للفتن والأعداء. هذا النوع من الشعر كان يحمل روحًا وطنية قوية وكان يُلقى بشكل كبير في المجتمع لتحفيز الناس وتعزيز الروح القتالية في وجه التحديات والصراع، يقول ابن القزاز في مدح " المعتمد" الذي خاض غمار الحروب ليقضي على الفساد ويحل محله الصلاح فيقول(١١):

(٩) عن البنيوية التكوينية، جابر عصفور، مرجع سابق، (ص٣٢، ٣٣).

(١٠) المعجم الأدبي، جبور عبد النور، مطبعة دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤، ص٢٤٥

(١١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق/إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ج٢، ص٥٣٣.

ثَنَاؤك لَيسَ تَسبِقه الرِّياح يَطِيرُ وَمن نداك لَهُ جناح(بحر الوافر)

لَقَد حسنتَ بِكَ الدُّنيا وشبت فَغَنَّت وَهِي نَاعِمة رداح

ثَنَاؤك فِي طِلاهَا حلي دُر وَفِي أَعطَافِهَا مِنهُ وشاح

تَطِيبُ بِذِكرِك الأفواهُ حَتى كَأنَّ رضابها مسكٌ وراح

كان الوعي الذاتي لدى الشاعر يدرك العالم من حوله من في سيف الحاكم، فإن كان سيف حاد بتار في الأخذ، عادلًا في سله كان العالم أجمع خاضعًا له، وعدا ذلك فسوف يستهين العالم من حوله به. تكرار الشاعر لفظة (ثناؤك) أفاد به التوكيد وتعميق المعنى الداخلي، أيضًا تكرار صوت الحاء في نهاية الأبيات والذي ينتمي إلى مجموع الأصوات الصفيرية كالثاء والصاد والسين، وسميت كذلك لإحداثها صفيرا عاليا عند النطق، وقد تكرر صوت الحاء في المثال يعني السعي الدؤوب لإرضاء الممدوح والتقرب إليه بغية نيل رضاه، ولعل الشاعر قصد بمبالغته في المديح أن الله سير الأقدار حسب رغبة الممدوح.

كثر مدح الشعراء للخلفاء الخائضون لمعارك شرسه استطاعوا من خلالها الانتصار على أعدائهم في الخارج، الطامعون في الملك، وقدسوا الجهاد في سبيل ذلك، يقول ابن زيدون قصيدته في مدح المظفر وجهاده في الله، فيقول مادحًا:

أَبُوهُ الذِي فَلَّ غَربَ الضَّلالِ وَلَاءَمَ شَعب الهدى فالتأم(بحر المتقارب)

وَلاذَ به الدينُ مستعصمًا بِذَمَّةِ أَبلجَ وَافِي الذمم

وجاهد في الله حَقَّ الجِهَادِ من دَانَ مِن دُونِهِ بالصنم

فَلَا سَامِيَ الطَّرفِ إلَّا أَذَلَّ وَلَا شَامِخَ الأنفِ إلا رَغم

تَقَيَّلَ فِي العِزِّ مِن حميَرٍ مقاوِلَ عزُّوا جَمِيعَ الأمم

هُمُ نَعَشُوا المُلكض حتى استقلَّ وَهم ظلموا الخَطبَ حتى اظَّلم[١٢]

(١٢)الذخيرة ، ج١، ص١٠٤.

نجد هنا أن صدق العاطفة يتضح لدى الشاعر فتتجلى رؤيته لذات الممدوح في وصفه بالفطنة والذكاء وقوة الإرادة، والتطرق لمدح نسبه فقد حافظ أباه على الدين الإسلامي وجاهد لنصرته، وجاءع العدو طائعين صاغرين .

ويمدح ابن عمار "المعتضد" ويشيد بشجاعته في القتال، ومواجهة العدو البربري، فيقول(١٣):

شَقِيَتْ بسيفكَ أمّةٌ لم تَـعْـتـمـدْ إلا اليهودَ وإن تَسمّت بَـرْبَـرَا(بحر الرجز)

أثمرْتَ رُمْحك من رؤوس كُماتٍ همْ لمّا رأيتَ الغُصْنَ يُعْشَقُ مثْمِـرا

وصَبغتَ دِرْعك من دماء كُلُومِهِمْ لما رأيتَ الحُسن يُلْبَسُ أحمـرا[١٤]

جمع الشاعر هنا بين الدم ودلالة اللون الأحمر في (دماء- أحمرا) ليدلل عن شجاعة الممدوح وبسالته في الحرب حتى أن رمحه أثمرت من رؤوسهم وهي كناية عن كثرة ضحاياه في الحرب . وهنا يتضح لنا الوعي الجمعي لدى بعض الشعراء في هذه الآونة حيث أنهم اجزلوا المدح في ملوكهم وبالغوا فيه أحياناً لما وجدوه من تقريب الملوك لهم وإجزال العطايا والمناصب.

وكان عبد الجليل على علاقة طيبة بابن عمار وزير الْمُعْتَمِدَ فقربه إلى مجلس المعتمد؛ حيث امتدحه بأشعاره التي استحسنها الْمُعْتَمِدَ واعجب بمهارة عبد الجليل فرفع مكانته بين شعراء بلاطه(١٥).

ومن أجمل قصائد عبد الجليل التي انشدها بين يدى المعتمد القصيدة التي مطلعها:

محلٌّ ألبسَ الدنيا جمالاً وإن فَضَحَ المقاصرَ والخلالا(بحر الوافر)

بناهُ كما بنى العلياء بانٍ يشيدُ مآثراً ويبيدُ مالا

وللزاهي الكمالُ سناً وحسناً كما وسِعَ الجلالةَ والكمالا

يحاطُ بشكلِهِ عرضاً وطولاً ولكن لا يُحاطُ به جمالا[١٦]

وانقسمت الرؤية في نظر الشاعر إلى قسمين: سياسة الحكم الداخلية التى يتبعها الحاكم، وسياستها الخارجية، فكانت رؤية الشعراء للعالم من داخل قصور الحكم كان مختلفاً، لم تتحرى فيه العدالة بوجه دقيق، فأصبح في أحياناً كثيرة المدح وسيلة تكسب، فانقلب إلى غرض ذاتي، بعيدًا عن الخلافات السياسية، وما يحدث داخل أروقة الممالك، فأنشد الجليل بين يدي الخليفة

---

(١٣) الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، نميري تاج السر أحمد لقمان، خصائصه واتجاهه، ص٨٥.

(١٤) قلائد العقيان في محاسن الرؤساء والقضاة والكتاب والأدباء والأعيان، أبو نصر الفتح بن خاقان، المطبعة الأميرية – بولاق،١٨٦٦ م، ص٩٥.

(١٥) دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٧ه – ١٩٩٧م، ٦٤/٢.

(١٦) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، مصدر سابق، ج١، ص٣٤٨..

الْمُعْتَمِدَ الذي يبني القصور ويكرم الشعراء بأنه كريم، يبني الملك والعلياء ولا يبخل بجوده وماله معتمدا على الاستعارة المكنية في قوله (بناه كما بني العلياء) فهو يبني المأثر، ويداه مبسوطتان يبيد المال، وهذه كناية عن الكرم والبذخ. ومدح ابن زيدون ابا الحزم بن جهور، واصفًا إياه برجل الحرب والسلام فقال:

وَزِير سلم كَفاه يَمَّنَ طَائِره شُؤم الحُروب وَرَأي محصد المرر(بحر البسيط) (١٧)

كما مدح " المعتضد بن عباد" فقال:

طَلَاقَةُ وَجهٍ فِي مضاءٍ كَمَثلِ مَا يَرُوق فرندِ السيفِ والحدُّ مُرهَفُ(بحر الطويل)

عَلى السيفِ مِن تِلك الصرامَةِ مَيسَمٌ وَفِي الرَّوضِ مِن تِلكَ الطَّلاقَةِ زُخرفُ

وَلَمَّا قَضَينا ما عنانا أداؤه وكلٌّ بِما يُرضِيكَ دَاعٍ فَملحفُ (١٨)

والبعض الأخر كان يمدح الحاكم إما خوفًا من بطشه، وإما لاستعطافه مما ترتب عليه غرضامن الشعر أطلق عليه " الاستعطاف" " وهو الشعر الذي يبثه الشاعر إلى شخص ما لاستمالة قلبه واستدرار عطفه، آملا بعفوه عنه وتخليصه من ضروب المعاناة والحرمان الذي يعانيه(١٩)، زاد شعر الاستعطاف بصورة كبيرة في عصر الطوائف نظرًا لانتشار الفتن، وبزوغ قضايا الحكم، والخلاف على نظام حكم البعض، لأن الحاكم هو الآمر الناهي بالكرم، أو بالسجن للشاعر، ولعل " ابن زيدون" من الذين تعرضوا للتنكيل من "ابن حزم بن جهور" حاكم قرطبة، فاستعطفه ابن زيدون أن يعتقه من الاعتقال قائلًا:

وَمِثلِيَ قَد تَهفو بِهِ نَشوَةُ الصبا وَمِثلُكَ قَد يَعفو وَمالَكَ مِن مِثلِ(بحر الطويل)

هِيَ النَعلُ زَلَّت بي فَهَل أَنتَ مُكذِبٌ لِقيلِ الأَعادي إِنَّها زَلَّةُ الحِسلِ (٢٠)

ولعل لامية ابن زيدون في استعطاف" ابن حزم بن جهور" هي أشهر قصائد الاستعطاف الأندلسية التي استعطفه بها، فقال فيها(٢١):

أَلَا أَنَّ ظَنِّي بَينَ فِعلَيكَ وَاقِفٌ وُقُوفَ الهَوَى بَينَ القَطِيعَةِ وَالوَصلِ!(بحر الطويل)

---

(١٧)الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام،ج٢، ص١٤٩.

(١٨) الذخيرة في محاسن أهل الذخيرة، ابن بسام، ج١، ص٣٧٧. قلائد العقيان، ص٧٩.

(١٩) الاستعطاف في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف، محمد جاسر جبالي أسعد، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ص١٩.

(٢٠) الديوان، ابن زيدون، شرح: كرم البستاني، دار صادر ، بيروت، ط١، ١٩٧٥م، ص١٣٣.

(٢١) المصدر السابق، ص١٦٣.

وَإِلَّا جَنَيتَ الأُنسَ مِن وَحشَةِ النَّوَى وَهَولَ السُّرَى بَينَ المَطِيَّة وَالرَّحلِ

وَأَينَ جَوَابَ مِنكَ ترضى بَه العُلَا، إِذَا سَأَلتنِي عَنكَ أَلسِنَة الحَفلِ؟[٢٢]

مادحًا ابن حزم بحسن الخلق، والصفات الحميدة، التي تجعل ابن زيدون ينال عفو ابن حزم، ثم يواصل ابن زيدون الاستعطاف برائية أخرى يقول فيها:

لا تَلهُ عَنّي فَلَم أَسأَلكَ مُعتَسِفاً رَدَّ الصبا بَعدَ إيفاءٍ عَلى الكِبَر(بحر البسيط)

وَاستَوفِرِ الحَظِّ مِن نُصحٍ وَصاغِيَةٍ كِلاهُما العلقُ لَم يوهَب وَلَم يُعَرِ

هَبني جَهِلتُ فَكانَ العِلقُ سَيِّئَةً لا عُذرَ مِنها سِوى أَنّي مِنَ البَشَرِ

إِنَّ السِيادَةَ بِالإِغضاءِ لابِسَةٌ بَهاءَها وَبَهاءُ الحُسنِ في الخَفَرِ (٢٣)

فقد كان شعر الاستعطاف موجها إلى الحاكم، والحاكم المستعطف بين أمرين:

الأول: إما أن يرد الشاعر المستعطف خائبًا فلا يعطف عليه، ولا يعفو عنه، وكان هذا قليلا لكنه كان موجود، وخاصة عند الشعراء الذين كان خطأهم متعلق بخطيئة دينية استوجبت العقاب، فيصر الحاكم وقتها على العقاب في سعى منه لإقامة الشريعة، زجرًا للعاصي ومنعا لارتكاب الموبقات.

الثاني: وإما أن يستجيب لاستعطافه، ويقبل عذره، ويعفو عنه، عندما يكون الجرم صغيرًا.

وتخلص الباحثة أن مدح الأمراء والملوك ورؤية الشعراء لهم في عصر ملوك الطوائف، تعددت أغراضه ومضامينه ما بين مدح الجهاد والحث عليه، وبين الغرض الذاتي من المدح في الحصول على العطايا، والبذخ، والكرم من الملوك. فظهر نوعًا أخر سمي شعر الاستعطاف، ظاهره المدح، وباطنه الاستعطاف على غرار استعطاف ابن زيدون لابن جزم بن جهور.

(٢٢) إعتاب الكتاب، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ) حققه وعلق عليه وقدم له: د/ صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط١، ١٩٦١ م ،ص٢١٢.

(٢٣) الديوان، ابن زيدون، المصدر السابق،١٥١.

- **الخاتمة :**

تنوعت أغراض المدح في هذا العصر، حيث استخدم بعض الشعراء المدح للحث على الجهاد وتمجيد الأبطال الذين يتصدون للفتن والأعداء. كان المدح في هذا السياق يحمل طابعًا وطنيًا قويًا وكان يساهم في تعزيز الروح القتالية لدى الناس.

بالإضافة إلى ذلك، كان هناك نوع آخر من المدح يُعرف بشعر الاستعطاف، حيث كان يظهر كمدح ولكن يحمل في الباطن فكرة الاستعطاف والتعاطف. كان الشعراء يلجؤون إلى هذا النوع من المدح للتعبير عن الرغبة في الحصول على العطايا والكرم من الملوك والأمراء، وكانوا يستخدمونه كأداة لكسب صالحهم ورضاهم. وكانت من النتائج التي توصل إليها البحث :

١. اشتهر شعر المدح بأغراض متعددة، منها التملق والاستعطاف، اللذين يمثلان نوعًا خاصًا من الشعر يُعرف بشعر الاستعطاف. كانت لغة هذا الشعر سهلة وغير معقدة، وكان الشعراء يكررون معانيهم في صور مختلفة، مع التركيز على الاعتذار والاستعطاف، وأحيانًا على التذلل والهوان.
٢. بالرغم من الانقسامات السياسية ، شهدت النهضة الثقافية، وخاصةً في عهد ملوك الطوائف في القرن الخامس عشر، ذروتها. حيث شملت هذه الحركة الثقافية كل الميادين العلمية، فظهر العديد من رجال الحرب والسياسة والفكر والشعر في هذا العصر.
٣. شهدت هذه الحقبة ازدهارًا للشعر وتوسعًا في أغراضه، حيث كان مدح الملوك والأمراء وتمجيدهم من بين أهم أغراض الشعر في هذا الوقت. فكان المدح للحكام ليس فقط وسيلة لتمجيد القادة والحكام، بل كان أيضًا مصدرًا للتكسب والعيش لبعض الشعراء، حيث كان يُمنحون مكافآت وهدايا سخية عندما يُلقون قصائد المدح التي تشيد بإنجازاتهم ونجاحاتهم.

المصادر والمراجع :

١. الإله الخفي، لوسيان غولدمان، ترجمة: زبيدة القاضي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٠م.

٢. إعتاب الكتاب، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ) حققه وعلق عليه وقدم له: د/ صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط١، ١٩٦١ م .

٣. الاستعطاف في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف، محمد جاسر جبالي أسعد، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

٤. البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، لوسيان غولدمان ويون باسكاوي وآخرون، ترجمة: محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، ط٢، ١٩٨٦م.

٥. البنيوية وما بعدها بين تأصيل الغربي والتحصيل العربي، وردة عبد العظيم عطا الله قنديل، رسالة ماجستير بكلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٠م، (ص٤١) ؛ الإله الخفي، جولدمان لوسيان، ترجمة: زبيدة القاضي، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠١٠م.

٦. التحليل الاجتماعي للأدب، السيد ياسين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ١٩٩١م.

٧. الحياة الاقتصادية في الأندلس في عصر ملوك الطوائف، محمد بن عبد الله عنان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م.

٨. الحياة الفكرية في الأندلس في عصر ملوك الطوائف، عبد الرحمن علي الحجي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٩. الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، نميري تاج السر أحمد لقمان، خصائصه واتجاهه، جامعة أم درمان ، السودان ،٢٠٠٥.

١٠. المذاهب النقدية الحديثة- مدخل فلسفي، محمد شبل الكومي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤م.

١١. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق/إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ج٢.

١٢. المعجم الأدبي، جبور عبد النور، مطبعة دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤.

١٣. دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٧ه – ١٩٩٧م.

١٤. رؤية العالم في شعر الصعاليك ، صغير بن غريب عبدالله العنزي ، دكتوراه ، جامعة أم القرى.

١٥. في البنيوية التركيبية- دراسة في منهج لوسيان غولدمان، جمال شحيّد، دار ابن رشد للطباعة، ط١، ١٩٨٢م.

١٦. قراءة لرواية "أسطورة النداهة" لأحمد خالد توفيق في ضوء المنهج البنيوي التكويني لغولدمان، رضا ميرزايي وعلي رضا شيخي، مجلة إضاءات نقدية، العدد (٣٥) ، السنة التاسعة، خريف ١٣٩٨ش/ أيلول ٢٠١٩م.

١٧. قلائد العقيان في محاسن الرؤساء والقضاة والكتاب والأدباء والأعيان، أبو نصر الفتح بن خاقان، المطبعة الأميرية – بولاق،١٨٦٦ م.

١٨. الديوان، ابن زيدون، شرح: كرم البستاني، دار صادر ، بيروت، ط١، ١٩٧٥م.

١٩. مفهوم النظرة إلى العالم وقيمته في نظرية الأدب، هند لسالة، ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي، مجلة آفاق العدد (١٠)، الرباط، المغرب، ١٩٨٢م.

٢٠. من البنية إلى السياق- دراسات في سوسيولوجيا النص الروائي، عبد الوهاب شعلان، مكتبة الآداب، القاهرة ط١.